يومية 22

مهرجان تطوان الدولي لسينما بلدان البحر الأبيض المتوسط

31 مارس 2016

N°5

ضيفة اليوم

كارين دوفيير

مخرجة بلجيكية

رئيسة لجنة تحكيم الفيلم الوثائقي

الفيلم الوثائقي هو صياغة سردية فنية للواقع

افتتاحية

التربية على السينما

لا يظهر ضيوف المهرجان في قاعات السينما، وأمام الكاميرات وحسب. ولا يظهرون في الليل، فقط، وإن كانوا نجوما.

فمنذ الصباح الباكر، يتوزع ضيوف المهرجان، من صناع ونقاد السينما، على العديد من المؤسسات التربوية والتعليمية، وهم يشرفون على تأطير ورشات في السينما، في مختلف المستويات التعليمية، من المدارس الابتدائية إلى الجامعة.

ينطلق المهرجان في هذا من قناعة راسخة مفادها أن السينما تربية جمالية، وهي تستطيع الرسوخ في ثقافة الإنسان حتى تصبح عادة من عاداته اليومية والليلية، إذا هو تربى على الإحساس بها، وتمكن، مبكرا، من التعرف إلى أسرارها وسحرها، ليسكنه هذا السحر ويرافقه العمر كله.

كما أن التربية على السينما هي تربية على الحلم وعلى الأمل. وما دامت السينما تصنع ما يشبه الحياة، فإنها ستعلم الأجيال درسا أساسيا هو احترام الحياة والتعلق بها. ومن خلال السينما، وعبر شاشتها المضيئة، يمكن أن نأتمن هذا العالم على أجيال تنتصر للحياة والأمل.

ألبوم

باسكال يتألق

كارين تستعيد ابتسامتها

يا لها من صورة سينمائية

احتفاء كريم بمهرجان تطوان وضيوفه في الصحافة الوطنية والدولية

تواصل الصحافة الوطنية والدولية متابعتها لوقائع الدورة الحالية من مهرجان تطوان. ونبدأ بجريدة «الزمان» التي تصدر من لندن، والتي أعلنت أن «الزمان شريك إعلامي في المهرجان»، وتوقفت في مقال مطول عند «دموع المخرجة البلجيكية ورئيسة لجنة الوثائقي كارين دو فيير، والتي شدت أنظار ومشاعر الحاضرين في حفل افتتاح المهرجان. كما توقفت الزمان عند فيلم «المتوسط»، وكيف شد إليه انتباه عشاق السينما.

أما جريدة «العرب» اللندنية، فأوردت أن جديد الدورة هو «إحداث جائزة تحمل اسم الناقد مصطفى المسناوي»، حيث شكلت إدارة المهرجان لجنة خاصة لجائزة مصطفى المسناوي، يرأسها الكاتب والناقد المغربي محمد نور الدين أفاية. ونشرت «العرب» صورة للمسناوي برفقة الممثل المصري الراحل نور الشريف، وبتعليق خاص يقول: «المسناوي أحب نور الشريف، ورحل معه في سنة واحدة».

كما ذهبت صحيفة «العربي الجديد» إلى أن مهرجان تطوان يبقى «من بين أبرز التظاهرات السينمائية في المغرب»، وهي تتحدث عن انطلاقة الدورة الحالية من المهرجان.

ونقلت وكالة الأنباء الصينية عن مدير المهرجان أحمد حسني قوله إن المهرجان أكثر من مجرد ملتقى سينمائي، بل هو مناسبة لتدارس التحديات التي تواجهها المنطقة المتوسطية التي تعج عدد من مناطقها بالاضطرابات.

ونقلت وكالة المغرب العربي للأنباء عن «يومية المهرجان» تفاصيل الحوار مع المخرج المغربي داود أولاد السيد، وكيف أنه يعتبر نفسه «جنديا سينمائيا تدرج في مختلف الرتب»، عبر تاريخ مهرجان تطوان الدولي لسينما بلدان البحر الأبيض المتوسط، الذي كرمه في حفل افتتاح دورته 22، أول أمس السبت.

أما جريدة الاتحاد الاشتراكي، فتابعت أشغال اللقاء الذي احتضنته المهرجان حول «السينما المغربية وقضايا اللغة»، انطلاقا من الأسئلة التي طرحها هذا اللقاء، بمشاركة كل من الباحث الإسباني خافيير إسترادا، والناقد التونسي كمال بن وناس، والناقد المغربي محمد اشويكة، من قبيل التساؤل عن طبيعة اللغة أو اللغات التي تستعملها الأفلام المغربية؟ وهل هناك نموذج لغوي ينبغي اتباعه في إنتاج الحوارات السينمائية؟ وما هي علاقة اللغة القاعدية بالدوارج في علاقتها بالهوية والتعدد والاختلاف الذي يطبع المكون المغربي؟ وباختصار: كيف تكتب السينما المغربية لغتها اليوم؟

جريدة «أخبار اليوم» المغربية، وبعدما أوردت، مشكورة، تفاصيل الحوار الذي أجرته «يومية المهرجان» مع رئيس لجنة التحكيم، المخرج الإسباني لويس مينيارو، نشرت مقالا بعنوان «سوريا تتبارى بتوثيق مشاعرها بـ«منزل» في تطوان السينمائية»، احتفت فيه بالحضور السوري العميق في الدورة الحالية من المهرجان، كما ظل يحدث في مختلف الدورات السابقات. فيلم يعمل على توثيق المشاعر والعلاقات التي تولد وتكبر أثناء الثورة ومعها الإحساس بالخطر المشترك الذي أفرزته الأحداث في سوريا»، بحسب الصحيفة.

ونختم هذه الجولة بكلمة شاعرة للصحافي سعيد حبشي، عن «بيان اليوم»، حين يكتب: «بشخصيته المتميزة، يلعب المهرجان، دورا كبيرا في التعريف بالسينما على ضفاف المتوسط، كما يساهم في دعم ثقافة الصورة لكي تصبح تطوان الثقافية، حاضنة للفعل السينمائي، ومساهمة في الجدل الدائر حول راهن الإنسان على ضفتيه. وتطوان باعتبارها مدينة تجمع بين الضفتين في عمق ثقافتها المغربية وإرثها الأندلسي، دون شك تمنح المهرجان شرعية الحديث عن هذه البحيرة التي كانت سباقة إلى تنوير شعوب العالم بالفكر والحضارة والإبداع».

هنا

تقدم شاب إلى قاعة سينما أبينيدا، أمس الأربعاء، ليسأل عن عرض فيلم آخر هو مباراة الكلاسيكو بين البارصا والريال، مساء يوم السبت المقبل. حيث تحرص قاعات السينما على عرض هذا الفيلم الكروي، في مدينة تطوان. بينما سيجري كلاسيكو اختتام المهرجان، في الموعد نفسه، في سينما إسبانيول.

وهنالك

الممثلة ميساء عبد الهادي قدمت فيلم «3000 ليلة»، وقد أدت فيه دور البطولة. ميساء كشفت أن المعاناة لم تكن في الفيلم فقط، بل كانت معاناة في مختلف مراحل تصويره، من البداية إلى النهاية القوية.

ضيفة اليوم

كارين دوفيبير الفيلم الوثائقي هو صياغة سردية فنية للواقع

. كثيرا ما ينظر إلى الفيلم الوثائقي بأنه في درجة ثانية، أو ثالثة، بعد الفيلم الطويل والقصير. ما هي الأسباب التي تدفع إلى إصدار هذا الحكم الذي ينتقص من قيمة الفيلم الوثائقي؟ هل مرد ذلك إلى الاعتقاد أن الفيلم الوثائقي يكتفي باستنساخ الواقع، وأنه يفتقر إلى البعد الإبداعي والفني؟ وكيف يمكن التخلص من حكم القيمة هذا في نظرك؟

.. أظن أن هذا الموقف الذي يقوم على الانتقاص من قيمة الأفلام الوثائقية، مرده إلى الخلط بين التقرير الصحفي والفيلم الوثائقي. وفي نظر أغلب الناس، فإن الأفلام الوثائقية لا تتعدى كونها نقلا أمينا للواقع كما هو. والحال أن الفيلم الوثائقي هو صياغة سردية فنية للواقع. ومهمة السينمائي عموما ليس إظهار الواقع، كما نرى ذلك في الروبورتاج الصحفي، بل جعل الناس يرونه من منظور مبتكر. وما يقع حاليا، بعيد كل البعد، بل ومتناقض مع ما يقترحه الفيلم الوثائقي، وتحديدا المشاهدة دون الرؤية. «الرؤية» تفترض نوعا من الاستعداد للانسياق وتسليم القياد للواقعي كي يأخذ بيدنا، ويحملنا لارتياد آفاق غير متوقعة. والأجمل، ونحن في حضرة الفيلم الوثائقي، أنه يقترح علينا عددا لا نهائيا من الحكايات، يعجز الخيال عن الإتيان بمثلها. من هنا عبارة «الواقع يتجاوز الخيال».

. يتقاطع الفيلم الوثائقي، في بعض الجوانب والتقنيات، مع عمل وسائل الإعلام، على كثرتها اليوم. ألا ترين أن الفيلم الوثائقي لم يستفد بما فيه الكفاية من ثورة وسائل الإعلام المعاصرة، بكل أنواعها السمعية والبصرية والرقمية والورقية؟

.. مما لا شك فيه أن هذا الفيض الهائل من الصور أصبح يكتسح العالم من حولنا، وإن كان في أغلب الأحيان لا ينطوي على أي معنى، ولم يعد يقول أي شيء. وقد غدت الصورة اليوم وعاء للكلمة، وسندها، وعلى وجه الخصوص في المسلسلات التلفزية وفي الأفلام الوثائقية المعروضة على مختلف القنوات التلفزية، بينما من المفروض أن تتكلم الصورة وحدها، ضمن بلاغتها الخاصة. ينتابني إحساس أن هذا التركيز المفرط لوسائل الإعلام على الصورة أدى إلى إفقار الفكر عوض إغنائه.

. مع اندلاع الثورات العربية الأخيرة، خرجت كاميرات المخرجين، والهواة، أيضا، لتوثق هذه التحولات العربية الكبرى، سينمائيا. كيف تابعت هذه التحولات، وكيف تلقيت أعمالا سينمائية وثائقية عن هذه المرحلة العربية والإنسانية؟

.. المثير في أحداث الربيع العربي أن الغرب أصبح متفرجا، ولم يعد فاعلا. لقد عشنا حينها عملية خلخلت الأوضاع السابقة، وأحدثت تحولا كبيرا في سلسلة المبادلات، حيث إننا، أي الغربيين، وجدنا أنفسنا «مجتاحين» بصور تتقاطر علينا من الشرق. كان منظرا جميلا وممتعا أن نرى شبابا يحملون كاميراتهم ويشرعون في التصوير. انتابنا إحساس «سحري» أننا نشاطرهم تلك اللحظة ونعايشهم تفاصيل ذلك الربيع، ونتقاسم معهم لحظة كنا نعرف أنها لن تتكرر أبدا. هنا استعادت سينما الواقع، أي السينما الوثائقية، جوهرها الأعمق، أي بوصفها فعل تقاسم. ولم يكن ذلك ممكنا لولا وجود الهواتف النقالة، بكاميراتها الصغيرة، هذه الأداة الديمقراطية التي تلتقط حدثا يعد بمزيد من الديمقراطية، هو ما كنا نتمناه جميعا.

> ينتابني إحساس أن هذا التركيز المفرط لوسائل الإعلام على الصورة أدى إلى إفقار الفكر عوض إغنائه

وفي تلك اللحظة، تطايرت قواعد السينما ومواضعاتها المتعارف عليها أشلاء، لتفسح المجال لرغبة آنية ومباشرة في تقاسم لحظات ثورة تشق طريقها نحو التحقق والاكتمال. كانت الصور التي تصلنا تقدم رؤية للعالم، تحركها إرادة راسخة، وتحدوها طاقة وثابة وقوة متفردة، غير مسبوقة.

. في نظرك، هل يمكن أن نصدق الفيلم الوثائقي، ونعتبره ضربا من الحقيقة والواقع؟

.. من الخطأ أن نظن أن الصورة يمكن أن تكون محايدة ومتجردة. ذلك أن الحديث عن الصورة، لا يمكن أن يتم بمعزل عن الحديث عن رؤية، وبالتالي عن وجهة نظر معينة. إن الموضوعية والحياد المطلق وهم وأمر مستحيل. لهذا، فبالإمكان توجيه الصور وجعلها تقول أي شيء، انطلاقا من تأويل معين.

. المشاركة في لجان التحكيم، ورئاسة لجنة التحكيم، تحديدا، ألا ترى أنها بمثابة أداء لدور سينمائي معقد؟

.. تفترض رئاسة لجنة تحكيم في مهرجان سينمائي ما فهم المعنى الكامن وراء الصورة، والانفتاح على ما تقصه علينا من حكايات، وعلى تعدد الرؤى والنظرات. وتفترض هذه المهمة أيضا القدرة على النظر دون أحكام مسبقة، انطلاقا فقط من الرغبة في الاكتشاف. يتعلق الأمر بدور يتعين أن نضطلع به بكل جوارحنا، ونمنح له الوقت والاهتمام الكافي، وندرك أبعاده حق الإدراك.

برنـامج اليوم

سينما أبنيدا

16.00 مساء: طعام وسقف، خوان ميغيل ديل كاستو، إسبانيا، 2015، 90 د.

18.30 مساء: نارسيس سنية شامخي، تونس، 2015، 90 د.

21.30 مساء: شبابيك الجنة، فارع نعناع، تونس، 2015، 83 د.

سينما إسبانيول

15.00 مساء: برنامج سينما التحريك

17.00 مساء: البرنامج الثالث للأفلام القصيرة.

21.00 مساء: الصوت الخفي، كمال كمال، المغرب، 2014، 94 د.

المعهد الفرنسي

16.00 زوالا: أبدا لم نكن أطفالا، محمود سليمان، مصر، 2015، 80 د.

18.30 مساء: ثقل الظل، حكيم بلعباس، المغرب، 2015، 82 د.

وشمة

صدر العدد الجديد من مجلة وشمة، التي يصدرها أصدقاء السينما بتطوان، وهو العدد الذي يصادف الذكرى العاشرة لإطلاق المجلة. ويقترح علينا هذا العدد الزاخر ملفا عن «السينما والمدينة/ السينما والبيئة»، إلى جانب دراسات عن السينما المغربية، ومتابعات وأبحاث ومقاربات أخرى.

وقد ساهم في ملف «السينما والسينما والبيئة» كل من ناجح حسن ومحمد شويكة ومحمد بويسف أركاب وخورخي أوريطيا. بينما ضم المحور الثاني من العدد دراسات حول السينما المغربية، حيث كتب نور الدين محقق عن «السينما المغربية والأفق الإنساني»، وكتب محمد البوعيادي عن القاعات السينمائية المغربية، من الازدهار إلى الانحسار، وكتب محمد زروال عن «صور التراث الأمازيغي في السينما المغربي». ثم كتب رشيد برهون عن «الفيلم الوثائقي: أو عندما تتلصص السينما من ثقب الباب.

أما محور العدد في القسم الفرنسي من المجلة، فكان عن السينما والتلفزيون، قدم له رئيس تحرير المجلة نور الدين بندريس، وشارك فيه كل من فرانسوا جوست وماريو برينطا وديديي كينير وميشيل سيرسو ودافيد بون وأحمد بجاوي وورولاند كاري وسعد الشرايبي. كما ضم هذا القسم متابعات ودراسات لكل من يوسف آيت حمو وإدريس الجعايدي وجون ميشيل فرودون ومحمد بنصالح وعبد العزيز الطريبق.

فيلم اليوم نارسيس: أو عودة سارة برنار إلى خشبة المسرح

قدمت السينما من المسرح. ولذلك، فلا غرابة أن تعود إليه، خاصة في تلك اللحظات الحتمية والفاصلة، التي تمر منها المجتمعات البشرية والفنون الإنسانية أيضا. فالسينما تشبه إلى حد بعيد واحدة من بطلاتها الجميلات، مثل الفرنسية سارة برنار، التي قدمت من المسرح، وعادت منه إليه. ولعل هذا ما فعلته المخرجة التونسية سنية الشامخي في فيلمها الروائي الأول «عزيز روحو»، أو «نارسيس».

يسطع ضوء الفيلم على مشهد ممثلين يتدربون على خشبة المسرح، تتوسطهم بطلة الفيلم «هند» في رقصة قوية على إيقاع موسيقى يهتز لها جذع امرأة كاملة، وهو يعصف بكل غصونها وفنونها. (تعني الفنون الأغصان في العربية، تتدلى من شجرة باسقة هي الحياة).

تتدرب هند على مسرحية هي بطلتها، أما مخرجها فليس سوى زوجها «توفيق»، الذي سيفشل في الوصول بالمسرحية إلى نهايتها، وسيتعرض للاعتقال، لأنه لم يستطع أداء نفقة زوجته الأولى. قبل ذلك، لم يستطع إقناع زوجته الثانية «هند»، في الواقع، كما في المسرحية، حيث اختلفت معه حتى في النهاية التي ينبغي أن تكون عليها المسرحية. بينما هو مصر على توجيه المسرحية تلك الوجهة التي يريد، من فرط أنانيته الذكورية تجاه امرأة. ولما دخل الزوج «المخرج» إلى السجن، تكفلت هي بإكمال المسرحية إلى النهاية التي تريدها لها.

في ظل الأزمات التي ظلت تواجه «هند»، لم يكن لها من ملاذ سوى أخيها «مهدي»، المثلي، مثلية مكتسبة، بعدما تعرض في طفولته للاغتصاب. وهو يقيم ويمارس، منذ مدة، علاقة غرامية مع خليله زياد. وحين يحاول، عبثا، الارتباط بسارة، والزواج بها، بعدما شغفها حبا، يفشل في ذلك. وكان مهدي فنانا شعبيا، يغني في الكاباريهات والحفلات الخاصة، غناء شعبيا طربيا، أضفى على الفيلم احتفالية أخاذة وجذابة. لكن خليله زياد سيقتله، وقد ظن أنه سينصرف عنه، من أجل الزواج بسارة.

كانت هند تواصل البحث عن نهاية للمسرحية، وهي تتجول في شوارع تونس العاصمة والمهدية، على متن سيارتها، ويرفقة ابنها الوحيد، بينما تتعالى أصوات الاحتجاجات والمظاهرات والانتفاضات في تلك الشوارع، منذ اندلاع ثورة الياسمين. فإذا بنا نقرأ على جدران المدينة شعارات تهتف بصوت الشعب وتصرخ بمطالبه العادلة، ومنها «جرافيتي» معبر نصه العريض: «شغل حرية، كرامة وطنية. فتة».